

الوكالة عندما كان يخرج أحد مديري المكتب للسير على رأس مظاهرات ضد الملك وحكومته !!

فالإستقلال والتمسك بالحياة ، كانا سبيل الوكالة في بداية تكوينها إلى الإحترام والإستمرار في أداء عملها الصحفى المهنى البحت ، وعندما انتهى ذلك كله .. انتهت الوكالة كمجسم صحفى تدب فيه الحياة ، وتنطلق منه أضواء الإعلام العربى الحر السليم . والثقة لا تفقد إذا ما تغير رئيس التحرير ، فقد يأتى غيره ويكون متمسكاً بالإستقلالية ، وأحرص عليها من سابقه ، وعندئذ لا يجد القراء تغيراً في سياسة الصحيفة أو أسلوب تعاملها معهم ، ويظلون على تمسكهم بالصحيفة ، فالقول بأن الصحف تعتمد على الأسماء أو الأشخاص أكثر مما تعتمد على نوعية المادة المقدمة وصدقها هو قول لا سند له من الواقع . والكلمة المطبوعة لا تحترم لأن كاتبها هو فلان وإنما لأن مدلولها يؤكد صدق قائلها . والصحف لم تعد تعتمد على الأسماء وإنما تعتمد على تعاقد غير مكتوب بينها وبين قرائها ينص على الإلتزام بالصدق ، والإستقلالية والشجاعة في مواجهة الحقيقة ، فإذا اختفت كل هذه الإلتزامات تساقطت عوامل الثقة واحداً بعد الآخر حتى تواجه الصحيفة مصيرها المحتوم .

كانت جريدة « الزمان » واسعة الإنتشار .. وحقق توزيعها أرقاماً قياسية لصحيفة تصدر بعد الظهر ، رغم ما تواجهه من صعوبات في طبيعة الوصول إلى ريف مصر في وقت يسمح بتوزيعها ، ومع هذا فقد بدأ الخط البياني للتوزيع بعد أن تأكد القراء من تغير نوعية المادة الصحفية التى تقدمها لهم - في الإتجاه إلى أسفل ، حتى توقفت عن الصدور دون أن يحس به أحد .. فقد كانت الصحيفة قد فقدت ثقة القراء واحترامهم .

وهكذا أكدت تجربة صحيفة « الزمان » قوة القارىء ، في تحديد مصير الصحف التى يقرؤها ، وإذا كانت هذه القاعدة لم تطبق بالنسبة للصحف المؤممة الأخرى ، فما ذلك إلا لأن القارىء - رغم أن هذه قدرته - لا يطبق أن يبقى بغير صحف . إنما الذى يتغير هو نظرتة إلى جديتها ، أو الإعتماد عليها كمصدر لا خلاف بشأن صدق ما تقدمه إليه من مادة اخبارية أو آراء سياسية .

والقارىء أيضاً لا يلتزم بقراءة صحيفة معينة على أساس ارتباطه بها حزبياً أو لثقته في كاتب دون آخر ، ومن هنا فقد تعرضت الصحف المؤممة إلى هزات ضخمة ، وظلت أرقام توزيعها لا تتحرك إلى أعلى إلا في الفترات التى كانت ترفع فيها الرقابة عن الصحف .

بل إن القارىء العربى ، والذى كان يتلهف لمطالعة صحف « مصر » انصرف عنها وانخفض توزيعها انخفاضاً مفرعاً ، ولم تفلح المحاولات الجبارة التى بذلت لإحيائها ، أو لاستعادة ثقة قراء البلاد العربية فيها .

وأعود إلى سرد ماجرى بينى وبين رؤساء وملوك الدول العربية وأنا أتحدث إليهم عن وكالة الأنباء الجديدة .